التكرار في شعر حيدر محمود

*إسماعيل سليمان المزايدة**

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تناول ظاهرة التكرار في قصائد الشاعر الأردني حيدر محمود بوصفها إحدى التقنيات الأسلوبية التي وظَّفها الشاعر؛ لإبراز المعنى، وتوثيق الموضوع في نفس المتلقي.

تناولت الدراسة أربعة أنماط من أنماط التكرار عند حيدر محمود وهي: تكرار الحرف، تكرار الكلمة (اسم، فعل)، تكرار الجملة (جملة كاملة، جملة ناقصة)، وتكرار الموضوعات؛ لبيان دورها في بناء الجملة الشعرية عند الشاعر، فضلاً عن أثرها في ترك دلالات مؤثرة في نفس المتلقي، تقوده إلى قراءة النصوص الشعريّة وسبر أغوارها، وتجعله أكثر انقياداً لسلطة النص، كذلك فإن أسلوب التكرار يرفد الشاعر بأساليب لغوية ذات طاقة فنية وموسيقية واضحة.

خلصت الدراسة إلى أن التكرار برز في شعر حيدر محمود ذي الموضوعات الوطنية والقومية، إذ احتلّ تكرار الاسم والفعل والجمل الناقصة والتامة حيزاً واضحاً فيه، أمّا تكرار الحرف فكان أقل حضوراً في شعره. ومن اللافت للنظر تكرار الموضوعات في شعر حيدر محمود، وبخاصة في حديثه عن موضوعات بعينها، مثل: الصعاليك، وعمّان، ونهر الأردن.

الكلمات الدالة: التكرار، حيدر محمود، الشعر.

التكرار

يعدُّ التكرار من الظواهر التي تضيف إلى القصيدة جمالا، وتعطيها رونقا مختلفا، وهي ظاهرة تضيء النص الشعري إيقاعا ودلالة، وتحفز المتلقي للبحث وإنعام النظر في دلالات القصيدة ومآلاتها.

والتكرار لا يأتي في القصيدة من باب الترف اللغوي، أو العبث الفني؛ وإنما له ارتباطه المباشر في الحالة النفسية للشاعر، وما يريد أن يوصله من رسائل ومضامين فكرية تحملها القصيدة وفقا لرؤيته الشعرية التي يمتلكها، وهو في شكله الأول والبسيط "أن يأتي المتكلِّم بلفظٍ ثم يعيده سواءً أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنىً ثمَّ يعيده، وهذا من شرط اتفاق المعنى: الأول والثاني، فإن كان مُتَّحد الألفاظ والمعاني، فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متَّحداً وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين" (مطلوب، 1989).

والتكرار هو"الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفنِّيّ، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى بطبيعة الحال، كما نجده أساساً لنظرية القافية في الشعر، وسر نجاح الكثير من المُحسَّنات البديعيّة كما هي الحال في العكس، والتفريق والجمع مع التفريق ورد العجز على الصدر في علم البديع العربي" (وهبة، 1984)، وهو من الأشكال الأسلوبية التي تقع" داخل بنية موسَّعةٍ هي بنية التماثل التي تسهم في إنتاج الشعريّة باحتوائها على قيم إيقاعية واضحة، والإيقاع – بطبعه– توَّاقٌ للحلول في منطقةٍ إيقاعيّة، والشعرية أقرب الأجناس الأدبية إلى الإيقاعية" (عبدالمطلب، 1995).

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن "التكرار المستمرّ شعرياً يتوقف نجاحه على مدى الوعي الشعري الذي يتحكم في استخدامه واستثثاره بنصيبٍ وافرٍ من التشكيل، فهو يمكن أن يحيي الكلمة وأن يُميتها في الوقت عينه، لأنّ التكرار يمثل في حقيقته نقطة توقفٍ تهدد طغيان الإيقاع، إذ تنتفخ الكلمة وتسمر الانتباه مما يبعث على الخشية من سيطرة التكرار الآلي الذي يعطِّل الوعي، إذ يعطي الكلمة وزناً في البداية ويجعل الوعي يتوقف عندها، ثم ما يلبث أن يفقدها وزنها كأنّها لم تكن، لتعود هيمنة الإيقاع وجمود الحركة على الفضاء الموسيقيِّ للقصيدة" (غاتشف، 1990).

والتكرار "عنصر بديعيٌّ يقوم على ذكر الشيء مرة أو مرات لدواعٍ منها التوكيد، والفصل، والاستيعاب (الشمول)، والترغيب،

* مركز الدّراسات الإستراتيجية، الجامعة الأردنية، عمان. تاريخ استلام البحث 2015/2/15 وتاريخ قبوله 2015/4/7.

©2015 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

والتلذذ، والتحسر" (اسبر، 1985)، فهو يأتي ليؤكد المعنى، ويضيف شيئا من الجمالية للنص، كما يسعى لإيجاد المتلقي المنتج والمتافعل مع النص الشعري، ويكشف لنا من أبواب مختلفة عن نفسية الشاعر ومراميه، وما يعتريها من فرح وحزن، لأنه "يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر، فيضيئها بحيث نطّلع عليها" (الملائكة، 1981).

وللتكرار أدوار أخرى تتعلّق بالإيقاع، وهذا في مستوى الأبنية الشعرية فهو" يسهمُ في بناء القصيدة وتلاحمها، بما يلحقه، أو يكشفه من علائق ربطٍ وتواصلٍ بين الأبيات أو الأسطر؛ تتشكَّل منها لحمة القصيدة وسداها، فالتكرار خاصيّةٌ لغوية، لكنّها تتحوّل عبر النسق العلائقي الذي يوفره السياق الشعري إلى عاطفةٍ مشحونةٍ بالإيحاء والتوتر، والشحنة العاطفيّة هي الشرارة الأولى التي تقود المتلقي لعبور النص عبوراً جماليّاً موفَّقاً" (أبو مراد، 2003). وهو "ظاهرة موسيقية ومعنوية في آنٍ واحد: فهو ظاهرة موسيقية عندما ترد الكلمة أو البيت أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية، أو النغم الأساسي الذي يعاد ليخلق جواً نغميا ممتعا. ويصبح هذا التكرار على المستوى اللغوي ذا فائدة معنوية، إذ إن إعادة ألفاظ معينة في بناء القصيدة، يوحي بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات، مما يجعل ذلك التكرار مفتاحا في بعض الأحيان لفهم القصيدة" (أبو إصبع، 1979).وعلى الجانب" الدلاليّ والنفسيّ، يُعدّ التكرار من أهم الأساليب التي تؤدي إلى وظيفةٍ تعبيريّةٍ وإيحائيّةٍ في النص؛ إذ إنه يوحي بشكلٍ أوليٍّ، بسيطرة فكرة العنصر المكرَّر على فكرة الشاعر، أو على شعوره" (أبو مراد، 2003). وهو يخرج لنا أو يداهمنا عند الشاعر حتى" لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظةٍ لأخرى" (زايد، 1978). ونحن نلحظ أنَّ "المحبُّ، مثلاً يشعر بمتعةٍ خاصَّةٍ في تكرار اسم الحبيب، فضلاً عن سيطرة هذا الاسم على فكره وشعوره، إذن، فالتكرار يقوم بوظيفةٍ أساسيّةٍ في إنتاج خط المعنى والإيحاء به، كما يقوم بتوفير (مفتاح الفكرة أو الشعور) المتسلِّط على الشاعر، ويضعهُ في يد الناقد، ويعدُّ هذا المفتاح أحد الأضواء اللاّشعوريّة التي تكشف عن أعماق الشاعر" (زايد، 1978).

لهذا فإن أهمية التكرار تأتي من حيث تكاتفه واندماجه مع عناصر الشعرية الأخرى فيسهم في الرقي بالتجربة الشعرية، ويغني شموليتها ورؤياها، كما يسهم في" إثراء المعنى ورفعه إلى مرتبة الأصالة، كلما أحسن الشاعر استخدامه وتوظيفه بشكلٍ يلائم البناء الكلّيّ للقصيدة، وينتج عنه أثرٌ فنيٌّ وجماليٌّ، بحيث يرتفع إلى درجة القيمة الجماليّة، وليس إضافةً تزينيّةً مُكمِّلةً لبقية العناصر البانية لها. أمّا إذا أخلّ الشاعر بكيفية استغلال هذا العنصر الجمالي فإنه يسقط عمله الإبداعي في اللفظية المبتذلة، ويضحي التكرار فضلةً تدخل ضمن ما أطلق عليه البلاغيُّون بالزخرفة اللفظية التي تقتل روح الشعر بدل إغنائه" (عبُّو، 2007).

ولمّا كانت ظاهرة التكرار "تمثل سمة أسلوبية في شعر حيدر محمود، وبنية أسلوبية أساسية للبناء الشعري عنده، خدمت البعد الدلالي في شعره، ومنحته بُعداً للتعبير عن تجربته الشعرية" (الخطيب، 2011)، وكانت تجربته تمثل صورة مثالية للحياة الأدبية والشعرية في الأردن خلال العصر الحديث، رأى الباحث أن يدرس ظاهرة التكرار في شعره من خلال الأعمال الكاملة للشاعر، والتي تضم دواوينه الآتية: (في انتظار تأبط حجرا، من أقوال الشاهد الأخير، شجر الدفلى على النهر يغني، اعتذار عن خلل فني طارئ، يمر هذا الليل، والنار التي لا تشبه النار)، حيث "تمثل تجربة حيدر الشعرية وسندرس ظاهرة التكرار في شعره من خلال أربعة أنماط هي:

تكرار الحرف.
تكرار الكلمة: اسم، فعل.
تكرار الجملة: جملة كاملة، جملة ناقصة.
تكرار المواضيع.

تكرار الحرف

يلجأ الشعراء في بناء قصائدهم إلى الحروف لتشد من تماسك النَّصِّ وترابطه، وقد تأتي الاستعانة أيضا بها في عملية إقامة الوزن والهروب من الكسور العروضية للقصيدة، وتكرارها في القصيدة أو في المقطع الشعري يوحي بدلالة ترتبط بالرؤية الشعرية وبالصيغة الشعرية أيضا، وهي في شعر حيدر تأخذ مساحة واسعة، وتعطي دلالات مختلفة، فنجده في قصيدة (الأرقام)، يكرر الحرف (لا)، حيث يقول:

"(لا تسر في الشوارع
... كي لا يرى وجهك السائحون
الأجانبْ ..
لا تختلط برجال الصّحافة ..
كي لا تشوّه صورتنا الوطنية،
لا ..
تكتب الشعر ..
إلا إذا كان
عن عسل النحل،
أو غزل النملِ،

لا .. تبكِ
لا .. تحكِ ..
لا تعشق امرأةً،
–لا تناسبُها–
فتُضيَّع دفترك العائليَّ،
ورسمكَ،
واسمكَ،
تخسر رقمك،
في "لعبة المائدة"! (حيدر، 2001)

وهنا نجد الشاعر يكرر حرف النهي (لا)، أكثر من (7) مرات، وهذا النهي يأتي ليبين حالة السخرية التي يبثها الشاعر تجاه حالة التردي والضعف التي يعاني منها المواطن العربي، ويعلن فيها موقفا من حالة الخضوع المفروضة على هذا المواطن الذي تسومه الأنظمة العربية سوء العذاب، فيمنع من ممارسة أبسط حقوقه الإنسانية، فهو في نظرهم مجرد رقم لا قيمة له ولا فائدة، وهم لا يحتاجون له إلا في لحظة انتخابهم، أو حروبهم بين بعضهم بعضا.

وأما في قصيدة (هذا وطني)، فيكرر الشاعر حرف العطف (أو)، أكثر من (4) مرات، حيث يقول:

"حلوٌ ..
أو مرٌّ ..
هذا وطني .. وأنا أهواهْ!
يسعدُني ..
أو يشقيني ..
لا أرضى بسواهْ!
وإذا ما شاء العشقُ له،
أنْ أغدو حجراً ..
أو زهرة دُفلى ..
أو قطرة ماء ..
فله .. ما شاء،
له .. ما شاءْ .." (حيدر، 2001)

فالشاعر في المقطع السابق يكرر الحرف العطف (أو)، لا للتخيير بل للإباحة التي تجعل الأشياء جميعها مقبولة وطعمها حلواً وجميلاً، إذا كانت آتية من قبل الوطن، فكل ما يأتي من الوطن للشاعر ولكل إنسان يعشق أرضه وبلاده، يجب أن يكون حلوا، فالأوطان مهما قست علينا وأتعبتنا وضُيّق علينا في الرزق والعيش، تبقى العشق الأول والأخير، ومهوى أفئدتنا ورمز كرامتنا، ولأجلها فقط تبذل الأرواح ويقدم المال والبنون في سبيلها.

وفي قصيدة (ولم أكن أنا ..أنا!)، يكرر الشاعر الحرف (لو)، حيث يقول:

"تقتلني تفاهة الجمهورْ
يقتلني انتظارُه الطويلُ
للأشياءْ ..
أوَّاهُ .. لو يغضب واحدٌ
من الجمهور ..
لو .. يثور؟!
لو واحدٌ
لو .. نصفُ واحدٍ .. يثور!!! " (حيدر، 2001)

ونلحظ هنا إيراد الشاعر حرف التمني (لو)، أكثر من (4) مرات، حيث يعلن الشاعر من خلال هذا التكرار يأسه وحنقه على هذا الجمهور العربي الضعيف والمستكين، والذي لا يملك أية أداة للتغيير، والخروج من هذا الذل الذي يغطيه تماما، فتأتي تمنيات الشاعر والتي يعرف أنها لن تتحقق، لتغيير هذا الواقع المؤلم، ويطلب أن يثور هذا الجمهور ولكنها أمنيات الحالمين، وهي أمنيات توضح لنا عمق المأساة التي يعانيها الشاعر في محاولته لتغيير هذا الواقع المعيش للشاعر وأمته.وفي مقطع آخر يقول:

"من يملك سيفا،
لا يستعمله للزينة؟
من يملك كفاً، لا يسكنها الخوفُ،
وزنداً .. لم يأكله الزَّيفُ،
وعينين مكحلتين بكحل النخوةْ ..
من يؤمنُ؟! أنَّ الحقَّ هو الإصرارُ،
وأنَّ الحقَّ .. هو القوّةْ؟!
من يشهر في هذا الزَّمن الكافر
إسلامهْ؟!
من يشهر ..
في هذا الزَّمن الكافر
إسلامهْ؟!" (حيدر، 2001)

نلحظ هنا أن الشاعر لجأ إلى تكرار حرف الاستفهام (مَنْ)،أكثر من (5) مرات، وهو تكرار يثيره عبر تساؤلات كثيرة، ودعوة مستمرة منه لتحرير الأمة من أعدائها، وتحرير الإنسان العربي من خوفه وعجزه وهوانه على الناس، وهي دعوة لخروج الإنسان العربي/ البطل، القادر على إنقاذ أمته والخروج بها من سيرة الهوان والذل، إنها تساؤلات تعمق الإيمان

بقدرة الفرد العربي على التغيير، ومحاولته المستمرة في تحرير أرضه من الهيمنية الأجنبية، واسترداد ما تبقى من كرامة ومجد عربي يكاد يضيع كما ضاع كل شيء.

تكرار الكلمة

يرد تكرار الكلمة عند الشعراء في كثير من نصوصهم، لما يشكله ذلك التكرار من حالة نفسية يعيشها الشاعر، بل إنها تسيطر على موقفه وملفوظه أحيانا، لأنه يريد بتكرار كلمة معينة؛ أنْ يظهر للمتلقي عنايته بتلك الكلمة دون سواها لأنها تشكل عنده "دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه" (الملائكة، 1981)، حتى يصل إلى مبتغاه في إحداث الصدمة للمتلقي، ومن ثمّ إيصال الرسالة التي يريد. وسندرسه هنا عند حيدر محمود في قسميه (الاسم والفعل).

تكرار الاسم

يرد تكرار الكلمة عند حيدر في كثير من نصوصه، لما يشكله ذلك التكرار من حالة نفسية يعيشها الشاعر بل إنها تسيطر على موقفه وملفوظه أحيانا، فهو يعنى بتكرار كلمة معينة؛ لأنها تشكل عنده قيمة فنية ومعنوية حتى يصل من خلالها إلى مبتغاه في إحداث الصدمة للمتلقي ومن ثمّ إيصال الرسالة التي يريد، فيقول في قصيدة (في انتظار تأبط شرّاً):

"حسناً ...
فلنثبت .. أنّا
(حتى والسكينُ على العنق)
الأكفاءُ
الأكفاءُ
الأكفاءُ!" (حيدر، 2001)

فحيدر هنا يكرر كلمة تحمل دلالة القوة والبأس، ولكنها قوة في غير موضعها، لأن الشك ليس في القدرة على الإنجاب، بل الشك في قدرة تحميل هذا الجيل المنجب هموم الأمة وخرابها لجيل قادر على التغيير وصنع الفارق، وليس جيلا همه قدرته الجنسية ومحاولة إثبات الرجولة، لأن إثباتها في تحرير الأمة من أوهامها وتخليصها من أعدائها، لذا فهؤلاء الأكفاء ليسوا لإثبات الرجولة بل هم منذرون لتخليص الأمة والنهوض بها.

ثم يعود ليكرر في القصيدة نفسها كلمة أخرى تعطي بعدا آخر من الوجع والهم:

"فعسى أنْ يتأبطَ ..
ولدٌ عربيٌّ .. ما
في بلدٍ عربيٍّ .. ما
((شرّاً ..))
ويغيّرَ وجهَ الصَّحراءْ !!" (حيدر، 2001)

فهو يكرر كلمة (عربي) للتأكيد على عروبة هذا الطفل الذي لا يريد أن يسقيه من لبن السريلانكيات، ويريده عصيا على الذبح لا يأكل إلا من منتج بلاده، لكي لا يغدو عميلا للقمح الأمريكي، لأنه يريده عربيا مثله مسكونا بهموم الأمة، طامحا لعلاج عذاباتها، ودمل جراحها.

ثم يعود حيدر ليكرر كلمة (اثنين) في قصيدته (أغنية شتائية لعمان)، ليقول بأن هواها ليس كمثله هوىً، وأنه العاشق الأوحد لعمان مهما كثر حولها العاشقون، ويعلن أنه متوحد معها فهما واحد، وأنه منصهر فيها كما هي منصهرة فيه، لذا يحذرها من قبول التجزيء، لأنه سينتهي ويموت إنْ عاملته عمان كغيره من العاشقين:

"ولم يكُ، مثل كل الآخرين
هواي..
أرفضُ أن نكون اثنين،
أموتُ إذا غدونا اثنين،
لا .. لا تقبلُ التجزيء،
روحانا .." (حيدر، 2001)

تكرار الفعل

لقد احتل تكرار الفعل مساحة جيدة من شعر حيدر، حيث يؤدي هذا التكرار الوظيفة الدلالية التي يريدها الشاعر، حيث يقول في تكراره للفعل (يحمِلُكَ)، في قصيدة (ترويدة للوطن):

"أردن ياترويدة الأحرار
يحمِلُكَ النهارُ في عينيهِ
رايةَ انتصارْ
يحمِلُكَ الفخارْ
حكايةً، على فمِ السنابلْ
وفي ضمائرِ السيوفِ،
والجدائلْ..
ودبكةً،
وميجَنا،
ولهفةَ انتظارْ
أردنُّ،
يا ترويدةَ الأحرارْ
يحملكَ الأطفالْ
على جِباهِهِمْ: براءَةً وكبرياءْ

وأملا ينمو على الأهدابْ
وابتسامةً خضراءْ..
تلوّنُ المدى الرحيبَ بالظلالْ
وتزرعُ اسمكَ الحبيبَ،
في قرارةِ الموالْ
يحملكَ الجنودْ
وشما على الزنودْ...
يا وطنا يسكنُ قلبَ الوردِ،
والبارودْ..
تباركَ الصمودْ ..
يا وطني،
وَلْيسلَمَ النهارْ
على جبينكَ المُزدانِ،
بالدَحنونِ، والنَوّار...
أردنُّ..
يا ترويدةَ الأحرارْ" (حيدر، 2001)

نلحظ في المقطع السابق أن الشاعر كرر الفعل المضارع (يحمِلُكَ)، (4) مرات، ليقول لنا أن ما يحمل الوطن هو النهار الذي يدل على العمل والبناء والمضي قدما في حماية الوطن والسير به إلى المعالي، وأن ما يحمل الوطن أيضا الفخار والمجد الذي يصنعه أبناؤه من المخلصين، وما يحمل الوطن أيضا هم الأطفال الذين يتسلمون الراية من آبائهم وأجدادهم، وهي دلالة لاستمرار البناء والحفاظ على الوطن، ويحمل الوطن أيضا الجنود الذين ينقشونه وشما على زنودهم التي تحمل البنادق التي تدافع عنه، وترد عنه كيد الأعداء، فهو في قلوبهم وعلى زنودهم لا يغيب عنهم ولو للحظة واحدة.

لهذا سيبقى الأردن بفضل كل هؤلاء الذين يحملونه ويدافعون عنه ترويدة وأغنية يرددها الأحرار والجنود والأطفال والمجد والكبرياء؛ لذلك ربط الفعل (يحمِلُكَ)، بالكاف التي تعود على الأردن ليؤكد استمرارية العطاء والبذل من أجل ها الوطن المزروع فيهم.

وفي قصيدة (6 رسائل شوق إلى عمان)، يكرر الشاعر أكثر من فعل مضارع (يلدُ/ يمصُّ/ يمشطُ/ يصنعُ/ يفركُ/ ينامُ/ يحلمُ)، ليؤكد استمرار حالة الذل التي تعيشها الامة العربية، فالمتنبي رمز الأنفة والكرامة والكبرياء، يعمل خادما عند سيده الدخيل على الأمة، أو ذلك المولى المرهون لإرادة الغريب، ولكنه رغم ذلك يظل يحلم بالغد الجميل الذي يحمل النصر والمجد، ويعيد لهذه الأمة ما سلب منها، ويعيد هيبة النخيل الذي يظل هو أيضا شاهدا على زمن الكبرياء العربي الغابر، والذي يأمل الشاعر في عودته:

"هنا .. يلدُ الرملُ
رملاً، ونملاً،
يمصُّ دم النَّخيلِ ..
(آخر ما ظلَّ من شرف الأصلِ)
فالمتنبي... غلامٌ يمشطُ
لحيةَ مولاهُ ..
يصنع قهوتهُ، في الصباح،
وفي آخر الليلِ،
يفرك سُرَّتهُ .. وينام ..
ويحلمُ بالخيل
أن لها موسما نابضا بالرجالْ" (حيدر، 2001)

ويعود الشاعر في قصيدة (موال.. للغربة)، ليكرر الأفعال (أقول/ نزرع/ نجهلُ/ نهتمُّ/ نُعطِ/ نترك/ يحرث/ يسقي/ ينفخُ/ نشهد/ يدغدغ/ نفرح/ يبصر/ نرقب)،ليقول لنا بأننا السبب وراء هذه النكبة التي خسرنا فيها كل شيء، فالأمر ليس في قوة عدونا، ولكنّ السر في ضعفنا وعدم معرفتنا بالأشياء، وجهلنا الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه، لأننا نتكل على الله في كل أفعالنا ولا نتوكل عليه، ولأننا نشحد النصر من عنده تعالى دون أن نقدم أي سبب للانتصار، ولأن أبصارنا خانتنا فحسبنا الأعداء أصدقاء، وبقينا نركض خلف سراب الأوهام والانتصارات الكاذبة، فجاءت هذه الأفعال لتعمِّق أحساس الشاعر بالغربة التي يعاني منها في بلاده وبين أهله المتواكلين على غيرهم ليجلبوا لهم النصر/ غربة الوطن، وغربة النصر الذي لا يجيء:

"أحبائي ...
رفاق الليل، والغربهْ
أقول لكم: لماذا كانت النكبهْ
لأنّا .. حين كنَّا نزرع الزيتون،
كنَّا نجهلُ التربهْ!
ولا نهتمُّ.. إنْ أعطتْ
وإنْ لم تُعطِ ..
تترك أمرها لله،
يحرثها .. ويسقيها ..
وينفخُ روحهُ فيها!!
كنّا نشهد الفصل الكوميديّا ..
يدغدغنا ..
فنفرح، مثلما الظمآن ..
إنْ يبصر ... سرابا ..

ظنَّهُ ماءً .. حقيقيا ..!
وكنَّا نرقب اللُّعبةْ" (حيدر، 2001)

تكرار الجمل

وقد يلجأ الشعراء إلى تكرار الجملة، أو ما يمكن تسميته "تكرار المقطع الشعري" (الكبيسي، 1982)، هذا التكرار الذي يمنح الشاعر القدرة على منح نصه الدهشة عند المتلقي، ولكنه يصبح أكثر تميزا في تمرير رسالته الشعرية المبتاغة من التكرار حين "يعمد إلى إدخال تغيير طفيف على المقطع المكرر. والتفسير السايكولوجي لجمال هذا التغيير، أن القارئ، وقد مر به هذا المقطع، يتذكره حين يعود إليه مكررا في مكان آخر من القصيدة، وهو بطبيعة الحال يتوقع توقعا غير واعٍ أن الطريق قد اختلف، وأن الشاعر يقدم له، في حدود ما سبق أن قرأه، لونا جديدا" (الملائكة، 1981).

تكرار الجملة الكاملة

والمقصود هنا هو أن يقوم الشاعر بتكرار الجملة كاملة كما هي دون تغيير أو تبديل لكلماتها وحروفها، وتدخل أشباه الجمل أيضا في هذا الباب من التكرار، حيث نبدأ هنا بتكرار حيدر للجملة الاسمية (رقمٌ آخر)، ليبين للمتلقي بأن العرب صاروا أرقاما خالية من الإحساس بعيدة عن المشاعر، وأنهم مجرد أرقامٍ تسقط كل يوم من تقويم الأيام، لا يملكون إرادة التغير، ولا سبل الخلاص، إنهم يعيشون على التسويف ويجترون حروف التمني، ويقيمون بيوتا من الأرقام التي لا يولد فيها إلا الأوهام والخيالات غير القابلة للتحقق، فهم يعيشون الوهم ويجترون السراب، وهو هنا يؤكد ضياعهم، وخمولهم، وضعفهم الذي جعلهم أرقاما ليس إلا، يقول في قصيدة (وجع الأرقام):

"رقمٌ آخرُ ..
يسقط من ((تقويم الأيام))
رقمٌ آخرُ ..
والمنتظرون على
جسر الأحلام
يجترون حروف لعلّ
ومن: ((يا ليت))
يقيمون بيوتا،
تتوالد فيها
بين الرقمين،
عصافير الأوهام !" (حيدر، 2001)

إن تكرار الجمة الشعرية عند حيدر يوحي بالحالة النفسية لديه، لأن التكرار عنده يحمل في طياته الألم، ويبعث في النفس الوجع والتحسر، وجع على الواقع، وتحسر على الماضي، فها هو في قصيدة (الخروج من ذاكرة الكثبان)، والتي يهديها لصديقه المنتحر احتجاجا على حالة التردي العربي (تيسير السبول)، نراه يكرر جملة (الشعراء الذاهبون قبلنا)، أكثر من (3) مرات، على رأس ثلاث مقطوعات يحشد فيها النفس والكلمات لاستعادة الكرامة العربية، ويملؤها برموز الكرامة المتمثلة بالصعاليك الخارجين على الذل والهوان،ويعلن فيها أن الكرامة العربية ذهبت مع أولئك الأحرار، الذين لا يقبلون الخنوع، ولا يرتضون المهانة، أولئك الذين لم يروا الكابوي ممثلا بأمريكا وإسرائيل وهو يغتصب القصائد على فراش زعيم الصعاليك في دلالة على خبو روح المقاومة والثورة لدنيا، والذاهبون لم يروا الكابوي وهو يصفع البرَّاق بالنعال ويستبيح نخله، الذي كان عصيا على الاغتصاب أو حتى محاولة الدنو منه، يكررها هنا ليؤكد على ذهاب الكرامة، وتحول هذا الجيل العربي إلى رجال من الورق، وأرواح من الياب والخراب:

"الشعراء الذاهبون قبلنا
لم يروا (الكابوي)،
في (الجزيرة السعيدة)..
يغتصب السيدة – القصيدة
على فراش (عروة بن الورد)
وهو يصفع (البرّاق) بالنعال!
ويستبيح نخله،
وخيله،
وماله (الحلال)" (حيدر، 2001)

أما (وجه آخر للصعلكة)، فنجد الشاعر يطلب من الأمة الحرية والخروج على الواقع، وأن لا تبقيه حبيس ذاته وتكسر رمحه/ شعره، الذي يقاتل فيه الاعداء، ويستنهض فيه الهمم، عسى أن يخرج من هذه الأمة العاجزة محرر يستعيد كرامتها، ويبدد ظلمتها الغارقة في عهر النفط الذي أنساها ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وجعلها مستعبدة له، لذا نجده يقول لها (لا تكسري الرُمح)، عسى أن يكون ذلك النور الذي يرتجى من آخر النفق المظلم:

"وقد صادروني (على باب عينيكِ)
أوشكتُ أن ... نلتقي
كان أهون أنْ ... تذبحيني،
من الحجزِ،
في عتمة "الرمز"،
لا تكسري "الرُمح"،

لا تكسري "الرُّمح" ...
يولد من صُلبهِ (ذات زوبعةٍ)
ماردٌ يستردُّ عفاف القوافي،
وطُهرَ العباءات .." (حيدر، 2001)

وفي (محاولة اعتذار لعرار)، نجد الشاعر يكرر جملة (لو كان سيفي معي)، متمنيا من خلال تكرارها أن يكون سيفه معه لاستعادة ما صادرته الريح، واستباحته الرمال من بلاد وأعراض ونفوس، لذا يطلق صرخات التوجع والتحسر على ضياع سيفه وسلاحه الذي جعله رهينة للخوف والنهب والاستباحة:

"وأصرخُ:
لو كان سيفي معي،
آهِ .. لو كان سيفي معي
ما استباحت رمال الصحاري
نخيلي..
ولا صادرت ريحها
صهلة من صهيل خيولي!!" (حيدر، 2001)

تكرار الجملة الناقصة

ومما لجأ له حيدر تكرار الجملة الناقصة، وهو تكرار يلجأ الشاعر فيه إلى تغيير طفيف يجريه على الجملة لغاية فنية يريدها من خلال هذا التغيير المقصود لذاته، حيث نلحظ في قصيدة (من يوميات.. بديع الزمان الطلياني)، أن الشاعر كرر جملة (أستقيل من)، وجملة (بعد ثلاثين حربا) مرتين، رابطا هذه الاستقالة مرة بالشعر ومرة أخرى بالمجد، فهو يختار الاستقالة في الوقت الذي تحتاج إليه الأمة، ولكن ما السبب وراء هذه الاستقالة؟ وما الذي دفع الشاعر للكفر بالأمة؟ والاعتذار عن كل ما قاله؟ وهل هذه الاستقالة جاءت بعد تيقن الشاعر أن لا شيء يتبدل ولا شيء يتغير، إنها استقالة الهروب وفقدان الأمل، إن حيدرا غير محكوم بالأمل، وغير باحث عن فسحته، لقد اسودّ الزمان بعينه وبقلبه، وصار الزمان ليس عربيا ويدلل على ذلك بعنوان قصيدته التي استبدل فيها دلالة الاسم العربي، إلى اسم غربي مرتبط بإحدى الدول الاستعمارية، إذن لا بدّ من الاستقالة من الشعر والمجد الذي كان يريد أن يصنعه بالشعر، لأن ما يحدث الآن هو نهاية التاريخ، والمنذر بالدمار:

"أستقيل من الشعر،
أعلن بعد ثلاثين حربا
مع الجمر،
أن الذي قلته ...
كان ثرثرة.. توجع القلب
أستقيل من (المجد) ...
اطلب بعد ثلاثين حربا
مع الوجد، وقف القتال" (حيدر، 2001)

وفي قصيدة (لو ..)، يعلن رفضه لمعاهدات السلام كلها مع العدو الصهيوني، فيكرر جملة (حتى حدود الذّبح... طيبونْ)، ولكنه يستبدل الذبح/ بالصلح، ليقول لنا أن لا فرق بين ما يفعله العدو بنا من قتل وذبح، وما سيفعلونه بنا أن نحن عقدنا الصلح معهم، لأننا في الحالتين نمارس معه الطيبة والضعف الذي جعلهم ينهبون بلادنا، ويقتلون رجالنا وأطفالنا ونساءنا، لأن هذا الزمن الموت بالصمت والعجز، زمن تضيع فيه الأوطان ونحن نتفرج، لأنَ طيبتنا قتلتنا والطيبة ضعف، أن لم يحرسها السيف:

"هذا زمان الموت بالصمت،
وبالجنونْ ..
هذا زمان السكتة القلبية
الملعون ..
ونحن .. يا الله مؤدبون !!
ونحن .. يا الله ..
كم نحن مع الأعداء ..
طيبون!
حتى حدود الذّبح .. طيبونْ
حتّى حدود الصُّلح .. طيبون!" (حيدر، 2001)

تكرار الموضوع

لعل من اللافت عند حيدر تكرار موضوع معين من خلال عناوين قصائده، وهذا التكرار يتعلق بتركيز الشاعر على ذكر الصعاليك ومناداتهم لتخليص الأمة والنهوض بها، ويبدو أن الشاعر يريد أن يلجأ لتغير الواقع عن طريقهم، لأنهم حسب اعتقاده القادرون على ذلك التغيير لما يملكونه من ثورة على الواقع، وأنفة للكرامة، وعدم رضوخ للذل، لذا نجده يطلبهم في العديد من المواقف الحساسة في تاريخ الأمة، لأنه فقد الثقة بالحكام الراهنين الذين باعوا الأمة وركضوا وراء نزواتهم ومصالحهم الضيقة، حتى غرقت الأمة بالذل، ونامت على الهوان.

لذا نجد الشاعر يعنون أحد دواوينه باسم واحد من هؤلاء وهو (تأبط شرا) فيأتي ديوان (في انتظار تأبط حجراً) دليلا دامغا على تعلق الشاعر بزمن الكبرياء العربي، الذي حمله الصعاليك ودافعوا عنه، ثم نأتي قصائد عدة بموضوع

الصعاليك ومتعلقاتهم دليلا آخر على انصهار الشاعر معهم، فهو مسكون بهم، لا يراوح أمكنتهم، وأناشيدهم، يبكي أطلالهم، ويروي خراب روحه من مجدهم وغاراتهم.

فها هو يعنون قصائده بعناوين من مثل (في انتظار تأبط شرّا)، و(نشيد الصعاليك)، و(لامية الحجر)، و(وجه آخر للصعلكة)، و(النشيد الثاني... استطراد لنشيد الصعاليك)، وقصيدة (يا ولدي)، والتي تبدأ بـ (يأتي زمن صعلوك)، وقصيدة (النشرة بالتفصيل)، والتي يقدم لها ببيت الشنفرى (واستفُّ تُرْب الأرض ...)، وهذا التكرر ليس بالعناوين فقط، وإنما يأتي في ثنايا القصائد الأخرى بذكر أسماء الصعاليك ورموزهم، وأشياء ذات دلالات قريبة أو بعيدة عنهم.

وظهر في شعر حيدر تكرار موضوع يتعلق بالوطن الذي يشكل "له هاجسا في التكوين العاطفي، ولديه رؤية وطنية جادة، وصدق لا تشوبه أية شائبة، إذ إنّ النزعة الوطنية لديه تطغى على همومه الخاصة" (الويّس، 2012)، فها هو يخصّ التغني بـ (بنهر الأردن)، جانبا كبيرا من شعره، فيتغنى به وبضفتيه، وبالحروب التي دارت على جنباته، وكيف كتب الجنود وهم يدافعون عن المقدسات بدمائهم سطور المجد والفخار، فقد شكل هذا النهر قيمة كبيرة عند حيدر، وكان يلح عليه في كثير من قصائده، حيث نجده يحوّم حول هذا النهر الذي وصفه بنهر الأنبياء في أكثر من قصيدة، ويعنون ديوانا له حول هذا النهر (شجر الدفلى على النهر يغني)، وجاءت قصائد عديدة حوله من مثل: (الكتابة بالدم على نهر الأردن)، و(شجر الدفلى على النهر يغني)، و(الضفتان توأمان)، و(نهر الأنبياء)، حيث يشهد هذا النهر على البطولات وعلى هذا التوحد والاندغام بين الضفتين الشرقية والغربية، والتي يريدها حيدر أن تبقى كذلك حتى قيام الساعة.

وتظهر مدينة عمَّان مدينة تشكَّل فيها وجدان الشاعر، فقد عاش فيها أيام الصبا والشباب ويتمنى أن ينتهي فيها عاشقا ومحبا، وهي في نظر الشاعر سيدة المدن لأن فيها حبيبه الحسين، فلا شريك لهما (الحسين وعمان)، في وجدان الشاعر، وهي الطريق المؤمل والمنشود للعبور إلى القدس لتحريرها من الصهاينة الغاصبين؛ لهذا نجده يخصها بأكثر من قصيدة: (6 رسائل شوق إلى عمان)، و(أغنية شتائية لعمان)، و(بحثا عن القصيدة... بحثا عن عمان)، و(ترويدة عمانية)، كما يذكر أحياءً ومناطق فيها كحي عبدون وضاحية الرشيد في قصيديتن منفصلتين هما: (من كراس الأناشيد لضاحية الرشيد)، و(تداعيات عبدونية).

الخاتمة

لقد كشفت الدراسة عن وعي الشاعر العميق لأهمية التكرار في بناء النص الشعري، فضلاً عن أهمية اللفظ المكرر وتوظيفه ضمن سياق شعري خاص، يتّسق مع تجربة الشاعر وانفعالاته النفسية، ورؤاه الفكرية، ممّا جعل صور التكرار عنده تؤدي وظائف أسلوبية متنوعة تكشف عن رغبة الشاعر في تأكيد أهمية المعنى المكرر، ومخاطبة وجدان المتلقي بإيقاعات موسيقية، فيها من قوة التأثير والفاعلية ما يكفي لجعله مشدوداً للنص الشعري، ومنهمكاً في اكتناه أسراره الخفية.

إنّ وضوح ظاهرة التكرار في شعر حيدر محمود جاء لخدمة رؤيته في إيصال رسالته للمتلقي، ومنح شعره طاقة تعبيرية وإيحائية ذات صلة بتجربتة الشعريّة، إذ يتشكّل التكرار وفق أبعاد نفسية وفكرية تنبع من عالم الشاعر ورؤياه الفكرية، وينهض بقوة دلالية لا تنهض بها الأساليب اللغوية الأخرى، لأن التكرار يعكس بالدرجة الأولى سيطرة العنصر المكرر على فكر الشاعر ووجدانه.

لقد تنوعت أشكال التكرار في شعر حيدر محمود، فمن تكرار اللازمة إلى تكرار الكلمة، إلى تكرار الحرف، ممّا أظهر براعة الشاعر في استغلال طاقات اللغة والتعبير عنها إبداعيّاً في قوالب خاصة ذات صلة بفكر الشاعر ووجدانه.

أظهرت الدراسة سيطرة تكرار الكلمة والجمل على تكرار الحرف، وذلك لما تمتلكه الكلمات من قدرة واضحة على التشكّل في قوالب مختلفة تقود إلى معنى واحد هو سيطرة حبّ الوطن والأمة على فكر الشاعر، ممّا يعزز من قوة التكرار التوليدية يتحول معها اللفظ المكرر إلى صرخة مدويّة يطلقها الشاعر لتستقر في أعماق المتلقي.

المراجع

أبو إصبع، صالح، 1979، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام 1948 حتى 1975، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص338.

أبو مراد، فتحي محمد رفيق، 2003، شعر أمل دنقل، دراسة أسلوبيّة، د.ط، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص111.

اسبر، محمد سعيد، وبلال جنيدي، 1985، الشامل معجم في علم اللغة العربية ومصطلحاتها، ط1، دار العودة، بيروت، ص352-353.

الخطيب، مجدي محمد، 2011، الظواهر الأسلوبية في شعر حيدر محمود، رسالة دكتوراه، إشراف محمود درابسة، جامعة اليرموك، ص157.

زايد، علي عشري، 1978، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط1، دار الفصحى، القاهرة، ص60.

عبدالمطلب، محمد، 1995، قراءات أسلوبيّة في الشعر الحديث، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص38.

عبُّو، عبدالقادر، 2007، فلسفة الجمال في فضاء الشعريّة العربيَّة المعاصرة، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص166.

غاتشف، غيورغي، 1990، الوعي والفنّ، ترجمة: نوفل نيوف، سلسلة عالم المعرفة "146"، الكويت، ص78.

الكبيسي، عمران، 1982، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، بغداد، ص167.

محمود، حيدر، 2001، الأعمال الشعرية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص46-396.

مطلوب، أحمد، 1989، معجم النقد العربيِّ القديم، ج1، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص370.

الملائكة، نازك، 1981، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ص270-277.

وهبة، مجدي، 1984، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والآداب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، ص117-118.

الويّس، مولود مرعي، 2012، عالم حيدر محمود الشعري، خصب الحياة وسحر الإبداع، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، 2012، ص50.

Repetition in the Poetry of Haider Mahmoud

Ismail Suleiman Al Mazaydah*

ABSTRACT

This paper addresses repetition in the poetry of Haider Mahmoud. The poet uses this style to inspire and instill meaning into the reader.

The paper covers four patterns of repetition in the poetry of Haider Mahmoud, namely the repetition of letter, repetition of word (noun or verb), repetition of sentence (complete or incomplete), and repetition of topic. Repetition helps the poet construct the poetic sentence and influence the reader who becomes more respectful of the authority of the poetic text when reading it. In addition, repetition provides the poet with linguistically musical and artistic styles.

The paper concludes that repetition is often used in Haider Mahmoud's national poetry. The repetitions of nouns, verbs, complete and incomplete sentences are more common in his poetry than the repetition of letter.

Haider Mahmoud also repeated topics especially when he writes about Al Sa'alik (vagrants), Amman, and the Jordan River.

Keywords: Repetition, Haider Mahmoud, Poetry.

* Center for Strategic Studies, The University of Jordan, Amman. Received on 15/2/2015 and Accepted for Publication on 7/4/2015.